



خرجت مجموعة من الصيادين لتصطاد في إحدى غابات إنجلترا.. وقادتهم أقدامهم إلى أعماق هذه الغابة، حيث شاهدوا حيواناً فريداً أكبر قليلاً من الأرنب وأصغر من الدب.. لكن ما شد انتباههم في هذا الحيوان المفرد هو فروته ناصعة البياض... أكثر إشراقاً من فروة الدب وأنصح بياضاً من فروة الأرنب وأطول وأغزر شعراً من فروة الثعلب.. وعلى الفور أطلق أحدهم رصاصته، التي أردته قتيلاً... وقدموا فروة هذا الحيوان المفرد هدية لملكة إنجلترا، ارتدتها في حفل من حفلاتها المتميزة.. فكانت بحق ملكة تتلألأ وسط الحاضرين بسبب الجاكت الفرو الذي تكسوه فروة هذا الحيوان الأبيض النادر...

بعد الحفل تهافتت الأميرات على الملكة، ليس فقط لتحيتها في هذا الحفل، بل لمعاينة هذا الفرو عن قرب.. ولما نظرت الملكة شغف أميراتها الصغيرات بهذا الفرو، فأرشدتهن إلى مجموعة الصيادين الذين أتوا لها به.. وقتها أدرك الصيادون أنهم أمام كنز فريد يتمثل في هذا الحيوان... فعاود الصيادون خروجهم إلى نفس الغابة، وبعد أن قضوا أياماً ينتظرون ظهور هذا الحيوان المفرد... فجأة جاء هذا الحيوان.. ولكنهم هذه المرة قرروا ألا يقتلوه، بل اصطادوه حياً، وأخذوه إلى عالم من علماء الحيوان في جامعة أكسفورد... وطلبوا منه دراسة طباع هذا الحيوان حتى يتسنى لهم اصطاده بسهولة ويُسّر... ليعرفوا ماذا يحب؟ وماذا يكره؟ ما هي أفضل الوسائل لجذبها؟ وما هي أيسر الطرق لاقتناصها؟... إنه كنز هبط عليهم من السماء..

وبعد أربعة أشهر رجعوا إلى هذا العالم، فوجدوه مبهوراً معجباً فخوراً بهذا الحيوان... وقال لهم: "ما أعظم المدرس الذي تعلمته من هذا الحيوان خلال هذه الشهور!!!!... إن هذا الحيوان على أتم الاستعداد لأن يواجه الموت بشجاعة، رافضاً أن تتسخ فروته... إنه يدرك أن بقاء فروته بياض نظيفة هو أول وآخر اهتماماته.. فهي بالنسبة له أهم من الطعام ومن الشراب، بل وأهم من الحرية، بل وأهم من الحياة بجملتها..". ثم قدم لهم نصيحته الذهبية:

إن أردتم اصطيد هذا الحيوان بسهولة، ليس عليكم إلا أن تضعوا القذارة والطين في جحره، وحين يدركه الخطر، ويهرب إلى هذا الجحر ويجد فيه ما يعرض فروته للقذارة، وقتها سيستسلم مفضلاً الموت عن الفروة القذرة...

ما أروع هذا الحيوان الذي أدرك أنه لا قيمة للحياة دون استقامة، فالصراع الحقيقي هو الصراع ضد نزوات النفس ورغباتها الجامحة،

فالانتصار الحقيقي في معركة الحياة، هو تدريب النفس على الرضى بين الجوع والشبع، الغنى والفقر، فتميز بين الخير والشر، فليس كل ما يلمع ذهباً..

قديماً قال جورج برنارد شو: "من الأفضل أن تحتفظ بحياتك طاهرة ونقية فحياتك هي النافذة التي من خلالها ترى العالم.. ولعل السؤال الجوهرى الآن، هو: كيف يمكن أن نحتفظ بحياتنا بيضاء في أيام انتشرت فيها أقنعة الخير التي تخفي وراءها الكثير من الغش والرياء والخداع.. أين الطريق للقلب الأبيض بياضاً أكثر من الثلج؟

اسمح لي أيها القارئ العزيز أن أضع بين يديك بعضاً من علامات هذا الطريق:

- اهتم بالنقاء حتى في أصغر أمور حياتك. فكلما كان فلتر حياتك أضيق، كلما أنتج ماءً أنقى... فالمنظرة المنضبطة للجنس الآخر ستقي من ممارسات وانحرافات خطيرة فيما بعد.. والمدقق في انتقاء ألفاظه، لا تخرج منه العبارات النابية... نعم، فمعظم النار من مستصغر الشرر...

- قل "لا" للتجربة. فما أسهل أن تقل "لا" في أول منعطف السقوط، لكن إن لم تقلها راضياً الشر، فقد يأتي وقت لا تستطيع فيه أن تقول "لا".

- لا تأتِ بفعل تخشى أن يفضحك يوماً ما أمام الناس، فعين الله ترى حتى في الظلام.. فليس خفي إلا ويُعلم، ولا مكتوم إلا ويُسُعلن..